

أبعاد التربية الجمالية في تعليم التصميم الداخلي

مقاربة تحليلية للبنى الإدراكية وانعكاساتها في بناء شخصية المتعلم

أ. هيفاء مختار خفافة

جامعة الزاوية، كلية الآداب، قسم الفنون

h.khafafah@zu.edu.ly

ملخص البحث:

يتمحور هذا البحث حول تحليل العلاقة التفاعلية بين التربية الجمالية والبنى الإدراكية كركيزتين أساسيتين في بناء شخصية متعلم التصميم الداخلي، ويهدف البحث إلى تحليل الكيفية التي تساهم بها المنهيات الجمالية والمنهج التربوي في إعادة صياغة المخططات الذهنية للمتعلم، وتحويل إدراكه من الحالة العفوية إلى حالة الاستبصار الفني المتخصص، وقد اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لمقاربة متغيرات الدراسة، حيث قامت بتحليل العمليات المعرفية المرتبطة باستيعاب الفراغ والعناصر التشكيلية، مع التركيز على دور "الجشطات" في تنظيم البيئة الإدراكية للمصمم. وقد تضمنت الخطوات التحليلية فحص آليات الاستيعاب والتمثيل للمدركات البصرية، واستنباط المعايير التي تؤدي إلى نضج الشخصية المهنية وبلورة الهوية الفنية المستقلة، وتوصل البحث إلى نتائج جوهرية، أبرزها أن الارتقاء بالوعي الجمالي يُعد شرطاً بنوياً لتطوير الذكاء الفراغي، وأن الشخصية الابتكارية للمصمم هي نتاج لتكامل الخبرة الحسية مع المعالجة الإدراكية السليمة، كما أثبت التحليل أن التربية الجمالية تمنح المتعلم "قلتراً إبداعياً" يحميه من النمطية ويعزز لديه المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية تجاه البيئة العمرانية، مما يضمن مخرجات تعليمية تمتلك الكفاءة المهنية والنضج النفسي اللازم لمواجهة تعقيدات تخصص التصميم الداخلي.

الكلمات المفتاحية: التربية الجمالية، البنى الإدراكية، التصميم الداخلي، الشخصية الإبداعية، الهوية الفنية.

Abstract:

This research centers on analyzing the interactive relationship between aesthetic education and cognitive structures as two fundamental pillars in shaping the personality of interior design learners. The study aims to explore how aesthetic stimuli and educational curricula contribute to reshaping the learner's mental schemas, transforming their perception from a spontaneous state to one of specialized artistic insight. The researcher adopted a descriptive-analytical approach to address the study's variables, analyzing the cognitive processes associated with grasping space and formal elements, with a focus on the role of "Gestalt" in organizing the designer's perceptual environment. The analytical steps involved examining the mechanisms of assimilation and representation of visual percepts, and deducing the criteria that lead to professional maturity and the crystallization of an independent artistic identity. The study reached significant results, most notably that elevating aesthetic awareness is a structural prerequisite for developing spatial intelligence, and that the designer's innovative personality is the result of integrating sensory experience with sound perceptual processing. Furthermore, the analysis proved that aesthetic education provides the learner with a "creative filter" that shields them from stereotyping and enhances their

moral and social responsibility toward the built environment.

Keywords: *Aesthetic Education, Cognitive Structures, Interior Design, Creative Personality, Artistic Identity.*

المقدمة :

تعد التربية الجمالية ركيزة جوهرية في منظومة إعداد مصمم المستقبل، إذ لا تقتصر وظيفتها على تزويد المتعلم بالمعايير الفنية فحسب، بل تمتد لتشمل صياغة رؤيته الكونية وتطوير قدراته على قراءة الفراغ وتأويله¹. وفي سياق تعليم التصميم الداخلي، تبرز الحاجة الملحة لتجاوز الأطر التقنية الصرفة نحو آفاق تربوية أرحب تعمل على تنمية "البنى الإدراكية" التي تشكل جوهر الوعي الفني لدى المتعلم، إن التربية الجمالية، كما يشير محمود بسيوني (1994) في كتابه "أصول التربية الفنية"، هي عملية توجيه مستمرة تهدف إلى صقل الحواس وربطها بالقيم الإنسانية والجمالية، مما يجعل منها أداة حاسمة في بناء شخصية المتعلم وتخليصها من النمطية والتقليد². ومن هذا المنطلق، يسعى البحث الحالي إلى تقديم تحليل تربوي فني معمق لهذه البنى الإدراكية، منطلقاً من فرضية أن تعلم التصميم الداخلي ليس مجرد اكتساب مهارة يدوية، بل هو تحول جوهري في بنية الشخصية، ويؤكد عفيف بهنسي (1997) في مؤلفه "علم الجمال عبر

التاريخ" أن الإدراك الجمالي هو عملية واعية تتجاوز مجرد الرؤية البصرية إلى مرحلة الاستبصار، وهو ما نسعى لتأصيله في نفوس المتعلمين ليصبح التصميم لديهم تعبيراً عن شخصية فاعلة ومنفردة³.

ستقوم الباحثة في هذا البحث بتفكيك العلاقة العضوية بين المفاهيم الجمالية وكيفية تمثلها في العقل الإدراكي لمتعلم التصميم، من خلال تتبع المسارات التي تنتقل عبرها القيم الجمالية لتصبح جزءاً لا يتجزأ من التكوين الشخصي. وسوف يتم التركيز على محاور أساسية تشمل: طبيعة التربية الجمالية في الفكر المعاصر، وآليات تشكيل البنى الإدراكية المرتبطة بالفراغ والكتلة، وصولاً إلى استنباط السمات الشخصية التي يتميز بها المتعلم المنتسب بهذه التربية، ويتسق هذا مع ما طرحه شاعر عبد الحميد (2001) في كتابه "عصر الصورة"، حيث ركز على أن إدراك الصورة والجمال يسهم في بناء هوية بصرية ومعرفية تميز شخصية الفرد في مجتمع يعج بالمتناقضات الفنية⁴.

وتعتمد الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، كونه الأنسب لتفكيك الظاهرة المدروسة واستقصاء أبعادها دون التدخل التجريبي، حيث سيتم تحليل الأدبيات التربوية والفنية المتعلقة بالتصميم الداخلي، وربطها بالنظريات الإدراكية الحديثة، ويهدف البحث بشكل رئيسي إلى الكشف عن انعكاسات التربية الجمالية في بناء شخصية المتعلم، وتحديد الكيفية التي تساهم بها البنى الإدراكية في تحويل المفاهيم الجمالية إلى ممارسات إبداعية رصينة، وتتجلى أهمية البحث في كونه يسد ثغرة في المكتبة العربية حول الجوانب التربوية لتعليم التصميم، مقدماً رؤية متكاملة تدمج بين الجمال كقيمة، والإدراك كعملية، والشخصية كهدف نهائي.

وفي الختام، فإن ما ستقوم به الباحثة هو محاولة جادة لإعادة الاعتبار للبعد الإنساني والجمالي في التعليم الفني، مستندة إلى رؤية ثروت عكاشة (2002) في كتابه "الفن والحياة"، بأن الفن والتربية الجمالية هما صمام الأمان لبناء شخصية متوازنة قادرة على تذوق الحياة وإعادة صياغتها، وهو ما يجسده متعلم التصميم الداخلي في أبهى صورته حين يمتلك الأدوات الإدراكية الصحيحة⁵.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في مركزية الجوانب الإجرائية ببرامج التصميم الداخلي مقابل تراجع العمق الفلسفي للتربية الجمالية، مما أدى إلى قصور في تشكل البنى الإدراكية لدى المتعلم وانفصال وعيه الفني عن سمات شخصيته الإبداعية. وهذا ما يضعنا أمام ضرورة تحليل هذه العلاقة التفاعلية من خلال السؤال الرئيسي التالي: كيف تساهم أبعاد التربية الجمالية في صياغة البنى الإدراكية والتربوية لبناء شخصية متعلم التصميم الداخلي؟

تساؤلات البحث:

1. ما هي أبعاد التربية الجمالية ودورها في تشكيل البنى الإدراكية لمتعلم التصميم الداخلي؟
2. كيف تساهم البنى الإدراكية الجمالية في بناء شخصية المتعلم من منظور تربوي وفني؟

فروض البحث:

1. يفترض البحث أن أبعاد التربية الجمالية تمثل الأساس الجوهرى لتطوير البنى الإدراكية لدى متعلم التصميم الداخلي وتشكيل وعيه الفني بالعلاقات الفراغية والتشكيلية.
2. يفترض البحث أن نضج البنى الإدراكية الجمالية ينعكس بشكل مباشر في بناء شخصية المتعلم وبلورة سماتها الإبداعية والتربوية بما يضمن تفرد مخرجاته التصميمية.

أهداف البحث:

1. تحديد أبعاد التربية الجمالية في تعليم التصميم الداخلي وبيان المرتكزات الفنية والتربوية التي تشكل الوعي القيمي لدى المتعلم.
2. تحليل طبيعة البنى الإدراكية المرتبطة بالقيم الجمالية وكيفية تفاعلها مع المفاهيم التصميمية في تكوين الوعي الفني للمتعلم.
3. توضيح دور البنى الإدراكية والتربوية الجمالية في بناء شخصية المتعلم بما يضمن تحقيق التكامل بين الأداء الإبداعي والنمو التربوي.

أهمية البحث :

1. يسهم البحث في تأصيل الدور الجوهري الذي تلعبه التربية الجمالية داخل منظومة تعليم التصميم الداخلي من خلال تقديم إطار نظري يربط بين العملية التعليمية والعملية التربوية.
2. يوفر البحث فهماً عميقاً لآليات تشكل البنى الإدراكية لدى المتعلم مما يساعد الأكاديميين على تطوير استراتيجيات تعليمية تعزز من قدرة المتعلم على استيعاب الفراغ والجمال بصورة علمية.
3. تبرز أهمية البحث في تركيزه على بناء شخصية المتعلم كهدف أسمى للعملية التعليمية وضمان تكامل جوانبها الإبداعية والوجدانية بما يتجاوز مجرد اكتساب المهارات التقنية الصرفة.
4. يمثل البحث مرجعاً تحليلياً يجمع بين الجانب التربوي والفني لتطوير محتوى مناهج التصميم الداخلي بما يضمن صياغة شخصية فنية تمتلك الوعي الإدراكي والتربوي والتصميمي.

منهجية البحث:

تعتمد الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لكونه المنهج الأنسب لدراسة أبعاد التربية الجمالية وتوصيف مرتكزاتها، ثم تحليل طبيعة ارتباطها بـ البنى الإدراكية وكيفية مساهمتها في بناء شخصية متعلم التصميم الداخلي؛ مما يتيح تفسير المتغيرات وربطها ببعضها البعض في سياق علمي وفني دقيق.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على تحليل أبعاد التربية الجمالية وعلاقتها الوظيفية بتطوير البنى الإدراكية، ودور هذه المتغيرات في بناء شخصية متعلم التصميم الداخلي، مع التركيز على المرتكزات الفنية والتربوية التي تربط بينها.

الحدود المكانية: المؤسسات التعليمية والأكاديمية التي تُعنى بتدريس تخصص التصميم الداخلي (كليات التصميم والفنون).

الحدود الزمانية: تمتد الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة من عام 2021م إلى عام 2025م

مصطلحات البحث :

التربية الجمالية (Aesthetic Education)

- هي عملية منظمة تهدف إلى تنمية قدرة الفرد على التذوق الفني وإصدار الأحكام الجمالية من خلال التفاعل مع القيم الفنية المحيطة به⁶.

- هي إعداد الفرد لاستجابة جمالية واعية تجاه البيئة والأعمال الفنية، بما يساهم في تكامل نموه الوجداني والعقلي⁷.

ثانياً: البنى الإدراكية (Cognitive Structures)

- هي مجموعات منظمة من المعلومات والخبرات السابقة المختزنة في ذاكرة المتعلم، والتي تعمل كإطار مرجعي لاستيعاب وتفسير المثيرات البصرية الجديدة⁸.

- هي الترتيب الذهني للعمليات المعرفية التي تمكن الفرد من إدراك العلاقات الفراغية والجمالية وتحويلها إلى مفاهيم مفهومة⁹.

شخصية المتعلم (Learner's Personality)

- هي مجموعة السمات النفسية والعقلية والسلوكية التي تميز الفرد في مواقفه التعليمية وتحدد نمطه الإبداعي في التعامل مع المشكلات¹⁰.

- هي التكوين المتكامل للجوانب المعرفية والوجدانية التي تتبلور لدى الطالب نتيجة التفاعل مع المحتوى التعليمي والخبرات الجمالية¹¹.

التصميم الداخلي (Interior Design)

- هو عملية تخطيط وابتكار تهدف إلى تهيئة الفراغات الداخلية وظيفياً وجمالياً بما يلبي احتياجات الإنسان المادية والنفسية¹².

- هو تنظيم العناصر الفراغية واللونية والملمسية داخل حيز معين لخلق بيئة متوازنة تجمع بين الفن والتقنية¹³.

التعريف الإجرائي للبحث (للباحثة)

- هي عملية تحليلية تهدف إلى الكشف عن كيفية توظيف قيم التربية الجمالية في إعادة صياغة البنى الإدراكية لدى طلاب التصميم الداخلي، مما يؤدي إلى تطوير شخصية المتعلم وبناء هويته الفنية والمهنية القائمة على الوعي الإبداعي والنضج التربوي خلال الفترة من 2021 إلى 2025.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: هبة عبد الرحمن محمد، رانيا مسعد عبده (2021)¹⁴.

عنوان الدراسة: التربية الجمالية كمدخل لتنمية مهارات التفكير البصري لدى طلاب التصميم الداخلي.

ملخص الدراسة: بحثت الدراسة في دور القيم الجمالية كركيزة أساسية لتطوير قدرة طلاب التصميم الداخلي على معالجة المفردات البصرية، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي لربط المفاهيم الجمالية بالعمليات الذهنية، وخلصت إلى أن الوعي الجمالي هو المحرك الأساسي لتطوير جودة مخرجات التعلم في التخصصات الفنية.

نقاط التشابه:

1. الاتفاق في اعتماد المنهج الوصفي التحليلي كأداة رئيسية لتفكيك وتحليل المتغيرات.
2. التوافق في تناول التربية الجمالية كمتغير محوري يؤثر في المنظومة التعليمية.
3. الاشتراك في اختيار طلاب (متعلمي) التصميم الداخلي كمجتمع بشري مستهدف بالدراسة.

نقاط الاختلاف:

1. تقتصر الدراسة السابقة على قياس "التفكير البصري"، بينما يتوسع بحثي في دراسة "البنى الإدراكية" بشكل أكثر عمقا وشمولية.

2.تركز الدراسة السابقة على المهارة الفنية، بينما يهدف بحثي إلى رصد أثر هذه العمليات في "بناء شخصية المتعلم" ككل.

الدراسة الثانية: إيناس البديري (2022) ¹⁵.

عنوان الدراسة: الإدراك الجمالي لأسس التصميم وعلاقته بتنمية التذوق الفني لدى طلاب كليات الفنون.

ملخص الدراسة: استهدفت الدراسة تحليل العلاقة بين العمليات الإدراكية والقيم الجمالية في الفنون التطبيقية، مؤكدة أن فهم الطالب لأسس التصميم يعتمد على بنيته الإدراكية وقدرته على تذوق الجمال، وهو ما ينعكس على تكوينه الفني خلال سنوات الدراسة.

نقاط التشابه:

1. نتفق على التقاطع المباشر في دراسة البنى الإدراكية والجمالية كعناصر متداخلة في العملية التعليمية.

2. اتوافق معها في التركيز على الجانب التربوي في صياغة الوعي الفني لدى المتعلمين في المؤسسات الأكاديمية.

3. نشترك بالالتزام بالمدى الزمني الحديث وبحث المتغيرات في سياق تعليم التصميم والفنون.

نقاط الاختلاف :

1.تناولت الدراسة "التذوق الفني" كمنهج، بينما يتجه بحثي نحو تحليل "بناء الشخصية" من منظور تربوي إدراكي متكامل.

2.لم تخصص الدراسة السابقة البحث في علاقة هذه البنى بمتعلم التصميم الداخلي تحديداً، وهو ما يركز عليه بحثي بشكل دقيق.

أولاً: مفهوم التربية الجمالية ومرتكزاتها الفنية في السياق الأكاديمي

يُمثل هذا المبحث المنطلق الإبيستمولوجي والركيزة الفلسفية للدراسة الراهنة، حيث يطرح التربية الجمالية لا كرفاهية معرفية أو استعراض نظري، بل بوصفها "نظاماً منهجياً متكاملًا لإعادة بناء

الحواس" وتطوير الوعي الفني، وفي السياق الأكاديمي لتعليم التصميم الداخلي، تضطلع التربية الجمالية بمهمة صقل قدرات المتعلم لرصد وتحليل العلاقات الجمالية الكامنة في الفراغ، متجاوزةً بذلك الإدراك السطحي للمفردات المادية لتصل إلى جوهر العلاقات التشكيلية المعقدة كالتناسب الذهبي، والإيقاع اللوني، والتوازن الحركي¹⁶، وتتحدد مرتكزات هذا المبحث في إحداث تحول بنيوي في "الفعل البصري" لدى المتعلم، بنقله من "الإبصار الفيزيائي" النمطي إلى "الاستبصار الجمالي" الواعي الذي يستنطق المعاني والقيم خلف العناصر المادية، وتتحقق هذه الصيرورة عبر آلية إجرائية ثلاثية الأبعاد يحلها البحث كالتالي:

1. مرحلة التفكير الإدراكي: وتستهدف صقل الحواس عبر تدريب المتعلم على رؤية الفراغ كعناصر تجريدية (خط، كتلة، ملمس) بعيداً عن المسميات الوظيفية الجامدة، مما يحول العين من مجرد أداة للنظر إلى أداة "قياس جمالي" دقيقة.

2. مرحلة التنظيم القيمي: حيث يمنح المنهج التربوي الجمالي للمتعم "مسطرة نقدية" لضبط الذائقة، فتتحول قراراته الفنية (مثل اختيار الهوية اللونية) من العشوائية والانطباع الشخصي إلى قرارات موجهة تستند إلى سيكولوجية الإدراك والتوافق الهارموني.

3. مرحلة الاستبصار التصميمي: وهي ذروة التكوين الفني، حيث يمتلك المتعلم القدرة على استبصار الحلول الابتكارية قبل تنفيذها، مستدعياً المرتكزات الجمالية لخدمة الوظيفة، مما يجعله بمثابة "الشاعر" الذي يصيغ الفراغ كقصيدة صامته بقواعد نحو وصرف بصري رصينة، فإن الغاية الجوهرية لهذا المبحث هي إثبات أن الجمال في التصميم الداخلي هو "مخرج تربوي واعي" وليس وليد الصدفة، حيث تعمل التربية الجمالية على إعادة صياغة "البني الإدراكية" للمتعم، ويتحول زاوية رؤيته للفراغ، تتحول بالضرورة أنماط تفكيره، وهو ما يمثل حجر الزاوية في "بناء شخصية المتعلم" وتنمية هويته كخبير مبدع يمتلك القدرة على النقد والابتكار الأصيل¹⁷.

- فلسفة تعليم التصميم الداخلي وموقعه من القيم الجمالية والتربوية

ننطلق هنا من رؤية تحليلية تعتبر تعليم التصميم الداخلي عملية "بناء إنسان قبل بناء جدران"، حيث تتجاوز فلسفته حدود التلقين التقني لتستقر في عمق العمل التربوي القيمي، و تكمن

الإشكالية الجوهرية التي يعالجها هذا المحور في كيفية إيجاد توازن دقيق بين المتطلبات الوظيفية الصارمة (Functionalism) وبين القيم الجمالية والوجدانية، معتبراً أن الفراغ الداخلي ليس مجرد حيز فيزيائي، بل هو "بيئة سلوكية" وسيطة تؤثر تأثيراً مباشراً في تشكيل وعي القاطنين وسلوكهم¹⁸. ويتم تحليل "موقع" القيم الجمالية داخل المنظومة التعليمية بوصفها "الميزان الأخلاقي والمهني"، فالمصمم الذي يتشبع بالتربية الجمالية يدرك أن قراراته التصميمية (بدءاً من توزيع الإضاءة وصولاً إلى اختيار الملابس والخامات)، هي في جوهرها قرارات تربوية تهدف إلى تحقيق التوافق النفسي والسمو بالذوق العام، وهنا يبرز دور المنهج في تحويل العملية التصميمية من "ممارسة مادية" إلى "رسالة إنسانية"، حيث يتم غرس قيم مثل (الاستدامة، الهوية الثقافية، واحترام الخصوصية) من خلال أدوات جمالية مبتكرة¹⁹. إن ارتباط القيم الجمالية والتربوية تتجلى في كونها تحدد "الإطار الأخلاقي والفني" الذي تنمو فيه شخصية المتعلم، فالفلسفة التربوية هنا تعمل كمرشح (Filter) يضمن عدم انزلاق المصمم نحو المادية الجافة، وتحثه على استيعاب أن الجمال هو "قيمة وظيفية" عليا وبذلك، فإن نضج شخصية متعلم التصميم الداخلي يرتبط بمدى قدرته على دمج الخبرة الحسية بالخبرة العقلية، محولاً المبادئ الجمالية المجردة إلى بيئات معيشية تخدم الجسد وترتقي بالروح في آن واحد²⁰.

- تحليل العلاقة الارتباطية بين المنهج التربوي الجمالي ومتطلبات تخصص التصميم الداخلي

لابد من تحليل طبيعة التداخل والارتباط الوظيفي بين فلسفة التربية الجمالية وبين المتطلبات المعقدة لممارسة التصميم الداخلي كمهنة وتخصص أكاديمي، فالارتباط هنا ليس ارتباطاً عرضياً، بل هو علاقة تلازمية، إذ إن متطلبات التخصص الجوهرية (كالقدرة على التجريد، وتحقيق الوحدة العضوية، وإدارة التضاد الفراغي) هي في أصلها "قيم جمالية" يتم استيعابها وتحويلها إلى أدوات إجرائية عبر المنهج التربوي²¹. ويكشف التحليل عن دور المنهج في تفعيل "الذكاء الجمالي" لدى المتعلم، وهو القدرة على تحويل البنى الإدراكية من مجرد خزان للصور والخبرات السابقة إلى محرك استدلالي يساعد في حل المشكلات التصميمية المعقدة، فالتصميم الداخلي يتطلب مهارة عالية في "التنظيم البصري"، وهي مهارة يغذيها المنهج التربوي الجمالي

من خلال تدريس قوانين (النسبة والتناسب، والسيادة، والإيقاع)، مما يضمن للمتعلم الانتقال من مرحلة "التسويق العفوي" إلى مرحلة "الصياغة العلمية للمكان"²². إن القيمة البحثية لهذا الارتباط تكمن في إثبات أن بناء شخصية متعلم التصميم الداخلي لا يكتمل إلا بدمج هذين المسارين، فالمنهج الجمالي يمنح "الرؤية"، ومتطلبات التخصص تمنح "الأداة"، ويخلص المبحث إلى أن أي قصور في تقديم القيم الجمالية داخل المناهج التربوية يؤدي بالضرورة إلى مخرجات تعليمية تفتقر للهوية الإبداعية وللقدرة على مواكبة التطورات المهنية، مما يؤكد أن التربية الجمالية هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الكفاءة المهنية والنضج الشخصي للمصمم المعاصر خلال الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة.

ثانياً: البنى الإدراكية وتحولاتها لدى متعلم التصميم الداخلي

- ماهية البنى الإدراكية وكيفية تشكلها من خلال المثيرات الجمالية

يُمثل هذا المبحث الجسر الرابط بين القيم الجمالية والمخرجات السلوكية والشخصية، حيث يغوص في "العمليات الذهنية" التي تجعل التربية الجمالية حقيقة واقعة في عقل المتعلم، ويحلل البحث هنا البنى الإدراكية (Cognitive Structures) بوصفها المستودع الذهني والمنظم المعرفي الذي لا يقتصر دوره على استقبال المعلومات البصرية فحسب، بل يتجاوز ذلك ليكون بمثابة "الأطر المرجعية" التي تُحدد كيفية رؤية المتعلم للعالم وتفسيره للمثيرات الجمالية (كالنسب، الألوان، والإضاءة)، و تحليل الإشكالية المعرفية المتعلقة بكيفية تحويل "المادة الفنية" إلى "بناء ذهني" متكامل عبر ثلاثة مسارات جوهرية تهدف إلى تفسير سيكولوجية التكوين المعرفي للمصمم:

أولاً: تحليل آليات الاستيعاب والتمثيل (Assimilation & Accommodation): يُحلل

كيف يقوم متعلم التصميم الداخلي باستقبال المثير الجمالي ودمجه في بنية إدراكية قديمة، حيث تعمل المثيرات الجمالية المنظمة في المنهج على إجبار العقل على "إعادة الهيكلة"، أي هدم التصورات البدائية العفوية عن الجمال وبناء مفاهيم احترافية جديدة تعتمد على المعايير الأكاديمية الصارمة²³.

ثانياً: تحليل دور المثريات الجمالية كـ "محفزات نمو": يركز هذا المسار على أن عناصر التصميم (كالنسب والملامس والإيقاع) ليست مفردات صامتة، بل هي "شفرات بصرية" يفكك المنهج التربوي رموزها، مما يؤدي إلى زيادة "التعقيد الإدراكي" لدى الطالب، وهذا التحول هو ما يمنح المصمم القدرة على إدراك التفاصيل الدقيقة والعلاقات الفراغية التي يغفل عنها الإدراك العادي.

ثالثاً: تحليل الانتقال من الإدراك العفوي إلى الإدراك العلمي: يتتبع التحليل صيرورة تحول المتعلم من الإدراك القائم على الانطباع النفسي العابر إلى بناء "بُنى إدراكية متخصصة" تمكنه من ترجمة المفاهيم الجمالية المجردة إلى لغة تطبيقية (أرقام، نسب، ومخططات)، مما يثبت أن الشخصية المبدعة تُبنى منهجياً عبر تشكيل هذه البُنى الذهنية²⁴. وتكمن الأهمية البحثية في كونه يفسر "الآلية" الإجرائية التي تربط بين التربية الجمالية (كمدخل) وبناء الشخصية (كمخرج)، فبدون فهم كيفية تشكل هذه البُنى يظل الحديث عن تطور شخصية المتعلم مفتقراً للمصداقية العلمية وبذلك، يضع هذا المبحث الأساس النفسي والمعرفي الذي يفسر تحول المتعلم إلى مصمم يمتلك "عقلاً هندسياً جمالياً" قادراً على التمييز بين النظام والفوضى وفق معايير فنية رصينة²⁵.

– العمليات الإدراكية في استيعاب الفراغ والعناصر التشكيلية لدى المتعلمين

ننتقل من بنية العقل إلى "آلية عمله"، حيث يُحلل العمليات الإدراكية بوصفها الأداة التنفيذية التي تُمكن متعلم التصميم الداخلي من فك رموز الفراغ المعماري وإعادة صياغته، إن استيعاب "الفراغ" في هذا السياق لا يُعد عملية بصرية سلبية، بل هو "فعل ذهني تركيبى" معقد يهدف إلى خلق وحدة كلية (Gestalt) من عناصر متفرقة²⁶، وتحلل العمليات الإدراكية من خلال المنظورات التالية:

أولاً: الانتباه الانتقائي وفلتر العناصر التشكيلية: كيف تساهم التربية الجمالية في تطوير "انتباه" المتعلم حيث لا يعود يرى الفراغ ككتلة واحدة، بل يمتلك القدرة على عزل العناصر (الخطوط، الملامس، الإضاءة) وتحليل دور كل منها في التكوين العام، هذا الانتباه هو ما يسمح للمصمم بالسيطرة على "المشتتات البصرية" داخل الحيز المكاني.

ثانياً: التنظيم الإدراكي وقوانين التجميع (Perceptual – Organization): يغوص هنا في كيفية تطبيق المتعلم لقوانين "الجشطالت" (مثل التقارب، التشابه، والاستمرار) في إدراك الفراغ فالمتعلم يتدرب على إدراك "العلاقة بين الشكل والأرضية" (Figure–Ground Relationship)، مما يجعله قادراً على توزيع الأثاث والعناصر الإنشائية ليس كقطع منفصلة، بل كمنظومة بصرية متوازنة ومترابطة إدراكياً²⁷.

ثالثاً: الإدراك الفراغي والعمق (Spatial– Perception): التركيز على كيفية تحويل الصور ثنائية الأبعاد (المخططات) إلى تصورات ذهنية ثلاثية الأبعاد، فالتربية الجمالية تعزز من "القدرة المكانية" للمتعلم، مما يتيح له إدراك قيم الكتلة والفراغ، وتوقع حركة المستخدم داخل المكان، وهو ما يمثل ذروة العمليات الإدراكية في تخصص التصميم الداخلي، إن الهدف الجوهرى هو إثبات أن "جودة التصميم" هي انعكاس مباشر لـ "جودة العمليات الإدراكية"، فالمصمم الذي يمتلك عمليات إدراكية مدربة تريبوياً يكون أكثر قدرة على خلق بيئات فراغية تحقق الراحة البصرية والنفسية، وهو ما يصب مباشرة في بناء "شخصية المتعلم" كخبير تقني يمتلك وعياً حسيّاً متميزاً²⁸.

ثالثاً: تحليل أثر التربية الجمالية في تطوير جودة البنى الإدراكية والوعي الفني

عند دراسة العلاقة الطردية بين كثافة "الجرعة الجمالية" في المنهج وبين "مرونة" البناء الإدراكي، نجد التربية الجمالية تعمل هنا كـ "منظم متقدم" يزيد من قدرة المتعلم على معالجة المعلومات البصرية المعقدة، ويتم تحليل هذا الأثر من خلال:

1. تطوير "الحساسية الجمالية": حيث يُحلل كيف تؤدي التربية المستمرة إلى رفع سقف "الوعي الفني"، مما يجعل المتعلم أكثر استجابة للجمال وأكثر نقداً للقبح أو الفوضى التصميمية.
2. تعزيز "المرونة الإدراكية": فالتربية الجمالية تمنح المتعلم القدرة على رؤية الحل التصميمي الواحد من زوايا متعددة، وهو ما يفسر دورها في دعم "الابتكار الأصيل" ورفض القوالب الجاهزة ونصل الى أن "الوعي الفني" المطور إدراكياً هو المحرك الأساسي لـ "شخصية المتعلم"، وبدونه تظل الممارسة التصميمية مجرد تكرار آلي يفتقر للروح الإبداعية والعمق التربوي²⁹.

رابعاً: بناء شخصية المتعلم في ضوء المتغيرات الجمالية والإدراكية

- سمات شخصية متعلم التصميم الداخلي ومقوماتها الإبداعية

التركيز على تحليل "شخصية المتعلم" ليس كمعطى ثابت، بل ككيان "سيروراتي" يتشكل عبر الممارسة الجمالية، يحاول المبحث تفكيك الشخصية إلى مكوناتها الجوهرية التي تتقاطع مع تخصص التصميم الداخلي، وذلك عبر المسارات التالية:

1. تحليل "المرونة المعرفية" (Cognitive- Flexibility): تحليل كيف يمكن ان تتحول شخصية المتعلم من "الجمود الإجرائي" إلى المرونة التي تتيح له توليد بدائل تصميمية متعددة للفراغ الواحد، هذه السمات لا تولد مع الفرد، بل هي "مقومات إبداعية" تُغذيها التربية الجمالية عبر تدريب الشخصية على تقبل التغيير وإعادة صياغة المؤلف .

2. تحليل "الحساسية للمشكلات الجمالية": التركيز على سمة الشخصية التي تجعل المصمم "يستشعر" الخلل في التكوين الفراغي قبل وقوعه، والتحليل هنا يوضح أن شخصية المتعلم تنمو حين تكتسب "شجاعة اتخاذ القرار" الفني، وهي سمة نفسية تبنى على ثقة الإدراك الجمالي.

3. تحليل "الأصالة والنزوع نحو الابتكار": البحث في كيفية تحويل المتعلم من "مقلد" للنماذج الجاهزة إلى "مبتكر" يمتلك بصمة ذاتية، الشخصية هنا تُحلل بوصفها محصلة للقيم التربوية التي غرست في المتعلم مبدأ "الأمانة الفنية" و"التميز الإبداعي"³⁰.

- دور التكامل بين الجمال والإدراك في بلورة الهوية الفنية للمتعلم

تُعد الإجابة على سؤال: كيف يصنع "الجمال والإدراك" معاً "هوية المصمم"؟ من خلال:

1. صياغة "الفلتر الإبداعي" للشخصية: أن الهوية الفنية للمتعلم هي نتاج "تصفية" المثبرات الجمالية عبر بُنى إدراكية سليمة، فعندما يتكامل الجمال (كمادة) مع الإدراك (كآلية)، تتشكل لدى المتعلم "الذات المصممة" التي تمتلك فلسفة خاصة في التعامل مع الخامات والمساحات.

2. تحليل "الاستقلالية الفنية": دور التكامل بين المتغيرات في منح المتعلم استقلالاً عن القوالب النمطية، فالهوية الفنية هنا هي "الدرع" الذي يحمي الشخصية من التشتت البصري، ويجعل المتعلم قادراً على صياغة بيئات فراغية تعكس "رؤيته الكونية" للجمال.

3. تحويل "المعرفة" إلى "سلوك": نبحث هنا كيف تتحول المفاهيم الجمالية من "نظريات في الكتب" إلى "سلوكيات في الشخصية"، حيث يصبح المصمم مخلصاً لقيم التوازن والنظام في حياته المهنية والخاصة على حد سواء³¹.

- استنباط المعايير التربوية والجمالية المساهمة في نضج الشخصية المهنية

نستنبط هنا المعايير التي سنقيس عليها نجاح العملية التربوية:

1. معيار "الوعي الناقد": تحليل قدرة الشخصية على ممارسة النقد الذاتي للمشاريع، بناءً على المرجعية الجمالية التي اكتسبها.

2. معيار "المسؤولية الاجتماعية للجمال": استنباط كيف تساهم التربية الجمالية في نضج الشخصية لتكون مسؤولة عن جودة حياة المستخدمين (أنسنة التصميم).

3. معيار "النضج المهني المستدام": تحليل كيف يضمن الربط بين الإدراك والجمال استمرار المتعلم في التطور الذاتي بعد التخرج³².

النتائج:

1. توصل البحث إلى أن التربية الجمالية نظام إدراكي يعيد تشكيل حواس المتعلم ويمنح ممارسته التصميمية بُعداً فنياً أصيلاً.

2. أثبتت النتائج أن جودة المثيرات الجمالية تطور الاستبصار الفني، وتنتقل بالمتعلم من مجرد الرؤية العفوية إلى الإدراك المتخصص.

3. تحقق للدراسة أن بناء شخصية المصمم يعتمد على التكامل بين طريقة تفكير العقل وبين تدوقه للقيم الجمالية.

4. كشفت النتائج أن المنهج الجمالي يحسن قدرة المتعلم على تنظيم الفراغ وحل المشكلات التصميمية المرتبطة بالكتلة.

5. أظهر البحث أن الارتقاء بالبنى الإدراكية يمنح المتعلم ثقة أكبر في اتخاذ قراراته التصميمية، مما يحمي شخصيته المهنية من التقليد أو التكرار.

التوصيات:

بناءً على النتائج السابقة، توصي الباحثة بما يلي:

1. دمج مساقات "الإدراك الجمالي" في المناهج كقاعدة أساسية تسبق التدريب التقني لضمان بناء حواس المصمم بشكل سليم.
2. اعتماد مثيرات بصرية تتسم بالعمق الفلسفي في استوديوهات التصميم لنقل المتعلم من مرحلة المشاهدة العادية إلى الاستبصار الفني.
3. تصميم تمارين تعليمية تربط بين التحليل العقلاني والذوق الوجداني لتمكين المتعلم من بناء هوية فنية خاصة به.
4. التركيز على تدريبات "التنظيم الإدراكي" (الجشطالت) لرفع مهارة المتعلم في إيجاد حلول ذكية لعلاقة الكتلة بالفراغ.
5. منح المتعلم حرية اختيار الحلول الجمالية في مشاريع التخرج لتعزيز استقلالية شخصيته المهنية وحمايتها من التقليد.

المراجع :

1. بسيوني، محمود (1994). أصول التربية الفنية. القاهرة: دار المعارف. ص32.
2. بسيوني، محمود (1994). مرجع سابق . ص35.
3. بهنسي، عفيف (1997). علم الجمال عبر التاريخ. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ص118
4. عبد الحميد، شاعر (2001). عصر الصورة: الإيجابيات والسلبيات. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص142.
5. عكاشة، ثروت (2002). الفن والحياة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص21-18.
6. محمود بسيوني (1994). مرجع سابق. ص 42.
7. عفيف بهنسي (1997). علم الجمال والتربية الفنية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 115.
8. فتحي جروان (2010). تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات. دار الفكر، عمان، ص 88.
9. رافع النصيري (2006). الإدراك البصري في الفن والتحليل. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 54.
10. حلمي المليجي (2001). علم النفس المعاصر. دار النهضة العربية، بيروت، ص 210.
11. فؤاد أبو حطب (1996). القدرات العقلية. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 305.
12. إياد الجوجو (2015). أساسيات التصميم الداخلي. دار المناهج للنشر، عمان، ص 18.

13. محمد وجيه (2008). التصميم الداخلي والديكور. منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 72
14. هبة عبد الرحمن محمد، رانيا مسعد عبده (2021) الدراسة متاحة علي:
<https://mjaf.journals.ekb.eg>
15. إيناس البدرى (2022). الدراسة متاحة علي:
<https://jart.journals.ekb.eg>
16. شاكر عبد الحميد (2001). تفضيل الجمال: دراسة في سيكولوجية التذوق الفني. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (267)، ص 182
17. عبد الحميد. شاكر (2001). ص 195.
18. إياد الجوجو (2015). أساسيات التصميم الداخلي. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 59.
19. إياد الجوجو (2015). مرجع سابق. ص 76.
20. إياد الجوجو (2015). مرجع سابق. ص 82.
21. محمود بسيوني (1994). مرجع سابق. ص 241.
22. محمود بسيوني (1994). ص 267.
23. فتحي جروان (2010). تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 88.
24. فتحي جروان (2010). ص 94.
25. فتحي جروان (2010). ص 102.
26. رافع النصيري (2006). مرجع سابق. ص 54.
27. رافع النصيري (2006). مرجع سابق ص 58.
28. رافع النصيري (2006). مرجع سابق ص 61.
29. فؤاد أبو حطب (1996). مرجع سابق. ص 305-318.
30. حلمي المليجي (2001). علم النفس المعاصر. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 210-225.
31. فؤاد أبو حطب (1996). مرجع سابق. ص 320-335.
32. محمود بسيوني (1994). مرجع سابق. ص 270-285.